

مظاهر الرحمة في الفقه الإسلامي

الأستاذ: سيدعلي غبريد

أستاذ مساعد، كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر 1 -

الملخص

لقد اعتنى علماء العقيدة والتربية وأصحاب التصوف والسلوك بمصطلح الرحمة؛ كونه صفة من صفات الله تعالى، وخلقاً من أخلاق النبي ﷺ، وأخلاق الصالحين، فتكلموا عليه بإسهاب، غير أن كثيراً من الباحثين والمؤلفين يُغفلون ما يذكره الفقهاء تجاه هذا المصطلح، وهذا ما حاولت تناوله وبحته؛ فبيّنتُ مجيء هذا المصطلح في الكتاب والسنة، وما له من الألفاظ ذات الصلة به، ثم ذكرتُ استعمالاته لدى الفقهاء في باب العبادات، ثم في باب المعاملات، وخصصتُ فرعاً لبيان ما ذكره الفقهاء مما لا يتناسب مع الرحمة؛ كمثّل إقامة الحدود والقضاء ونحو ذلك، وفي الأخير ختمت بخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

Summary

«The Manifestations of Mercy in Islamic Jurisprudence»

Prepared by the researcher: Ghebrid Sidali- Assistant Professor
“A”/ Faculty of Islamic Sciences (University of Algiers -01-).

The scholars of the creed, the educators and the Mystics have given great importance to the term “Mercy”, as it is one of the attributes of Allah, one of the ethics the prophet (peace and blessings of Allah be upon him) and among the morals of the righteous. They spoke about it extensively. But, many researchers and authors overlook what the scholars say about this term.

And, this is what I have tried to deal with and research; I have explained the advent of this term in the Holy Quran and the Sunna,

and its related words, and the mentioned its uses among the scholars in the chapter of worship, and then in the section of transactions, and devoted a section to indicate what the jurists did not see befitting with mercy such as The establishment of sanctions, the judiciary and so on.

And in Conclusion I mentioned the key findings and recommendations.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

فمن معالم هذا الدين الرحمة التي وصف الله نفسه بها في آيات كثيرة في القرآن الكريم فله الحمد والثناء، ووصف بها نبيّه الكريم محمداً ﷺ وعلى آله وصحبه الأتقياء الرحماء، ووصف بها عباده المؤمنين الطاهرين الأصفياء، ووصف بها شريعته الغراء.

ولقد ظهر خلق الرحمة في تعاملات المسلمين، فأكثر الفقهاء الكلام عليها، وبينوا أن كثيراً من المسائل الفقهية لا تنفك عنها؛ فعلم من هذا أن الفقه الإسلامي كله رحمة.

ولقد أمر الله تعالى وأرشد عباده إلى أن يفعلوا كل ما فيه صلاحهم، وأن مرد ذلك يعود إليهم هم، وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع، وقد كتب الله على نفسه الكريمة الرحمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً، وحرماً الظلم منه عدلاً، يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 12]، وقال ﷺ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ مِثَّةُ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا

يَتَرَاحُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تَسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾.

تعريف الرحمة

لغة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحِمَ بعضهم بعضاً، والرحموت من الرحمة، يقال: رهبوت خير من رحوت، أي لأن ترهب خير من أن ترحم، ورجل مرحوم ومُرحَمٌ، شدد للمبالغة، والرحِم: رحم الأنثى، وهي مؤنثة، والرحِم أيضاً: القرابة، والرحِم بالكسر مثله، قال الأعشى:

أَمَّا لِطَالِبِ نِعْمَةٍ يَمَّمْتُهَا ... وَوَصَالِ رَحِمٍ قَدْ بَرَدَتْ بِلَاهَا

والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة ونظيرهما في اللغة نديم وندمان، وهما بمعنى، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم، كما يكون بمعنى الراحم⁽²⁾.

اصطلاحاً: الرحمة هي الإنعام على المحتاج، فالرحمن للعالمين جميعاً ينعم عليهم ويرزقهم، والرحيم بالمؤمنين خاصة يوم الدين ينعم عليهم ويغفر لهم⁽³⁾.

الألفاظ ذات الصلة

1- اللطف: واعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة بل هو رحمة خاصة فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (7150).

(2) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (5/ 1929)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: الثانية، 1399هـ-1979م، بيروت- لبنان.

(3) أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، (ص: 20)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة- مصر، ط: 1396هـ-1976م.

(4) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، (ص: 226)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 12، السنة 33-1421هـ.

2- الغفران والعفو والإنعام: قال الزجاج: الرحمة والغفران والعفو والإنعام بمعنى واحد⁽¹⁾.

3- الحنان: كسحاب: الرَّحْمَةُ والعَطْفُ؛ وبه فسر الفراء قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: 13]: أي وفعلنا ذلك رحمة لأبيك⁽²⁾، ولما كان الحنين متضمنا للإشفاق، والإشفاق لا ينفك عن الرحمة؛ عبر عنها به في آية ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾⁽³⁾.

4- الشفقة: الرحمة والحنان والخوف من حلول مكروهه⁽⁴⁾.

5- الرأفة: أشد الرحمة⁽⁵⁾، والفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة أشد الرحمة، وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة⁽⁶⁾.

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، (3/ 259)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1416 هـ-1996 م.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، مرتضى الزبيدي، (34/ 458)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، (ص: 298)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، بيروت، دمشق-سورية، ط: 1، 1410 هـ.

(4) المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار، (1/ 487)، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر- دار الدعوة.

(5) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (ص: 267)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط: 1415 هـ-1995 م.

(6) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: 246)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى، 2000 م.

- 6- العطف: العطفُ: الرَّحمة، عَطَفَ عليه يعطف عطفًا، ورجل عَطُوف وعطّاف: عاطِفٌ بهاله وفضله، وعطفَ الله عليه يعطف عطفًا: رَحِمَهُ⁽¹⁾.
- 7- الذل: والذلُّ والذلُّ؛ الرِّفْقُ والرَّحْمَةُ، وفي التنزيل العزيز في صفة المؤمنين ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54]، قال ابن الأعرابي فيما روى عنه أبو العباس: معنى قوله أذلة على المؤمنين؛ رُحَاءٌ رُفَقَاءُ على المؤمنين.⁽²⁾
- 8- الإحسان: ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، ولم يقل قريبة لأنه أراد بالرحمة الإحسان⁽³⁾.

المبحث الأول

الرحمة في الإسلام

الإسلام دين العدل والرحمة، وأمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، ولقد حث الإسلام على مبدأ السواسية بين البشر في العمل والتعامل، ففيه إغاثة الملهوف، واحترام الجار وتكريمه دون النظر إلى انتهائه الديني أو القومي أو العرق، ولقد أقر الإسلام كل شيء حسن، وحضَّ على كل معاني الخير والصالح في الدنيا والآخرة.

-
- (1) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، (3/ 381)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1417هـ-1996م.
- (2) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، (10/ 49)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 2000م، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (11/ 256)، دار صادر، ط: الأولى، بيروت-لبنان.
- (3) لسان العرب، (1/ 662).

المطلب الأول: الرحمة في القرآن الكريم

لفظ «الرحمة» مفهوم إسلامي أصيل، ورد ذكره في القرآن الكريم في نحو ثمانية وستين ومائتي (268) موضع⁽¹⁾.

ومن أعظم نعم الله تعالى على عباده أن هداهم للإسلام، ومن أجلّ النعم كذلك إنزاله آخر كتبه - وهو القرآن الكريم - على خاتم وخير رسله - وهو النبي ﷺ -، يقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 1]، فالله تعالى علّم عباده أن يحمده على أعظم نعمة أنعمها عليهم؛ وهي أنه نزل كتابه الذي لا اعوجاج فيه، بل هو في غاية الاستقامة، حيث أخرجهم به من الظلمات إلى النور، وبين لهم فيه العقائد والحلال والحرام، وأسباب دخول الجنة والنار، وحذرهم فيه من كل ما يضرهم، وحضهم فيه على كل ما ينفعهم، فهو النعمة العظمى على الخلق؛ فامتّن على خلقه بإنزاله، مبشراً من عمل به، ومنذراً من لم يعمل به، وذكر في مواضع عديدة أنه رحمة، كقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [آل عمران: 13]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُكِدْ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِمْ فَضْلٌ وَهَدِيْمٌ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 174-175]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 1]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: 76-77]، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰكِدِيْنَ﴾ [الأنبياء: 106-107]، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: 86].

(1) من موقع: إسلام ويب/ مقالات، articles.islamweb.net، بتاريخ: 31/12/2009.

الفرع الأول: ذكر الرحمة في القرآن الكريم

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ما يتعلق بلفظ الرحمة في آيات كثيرة؛ فتارة يذكرها بالمصدر «الرحمة» كونها صفةً من صفات الله تعالى أو خلقاً من خلقه، وتارة يذكرها باسم من أسمائه الحسنی أو وصفاً لنبیه، وتارة بالفعل «رَحِمَ» وما يتصرف منه.

فمن أمثلة ذكرها مصدراً قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَوْا لِأَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَمُجْرِمُونَ﴾ [الأنعام: 147]، وقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصَرَتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: 107]، فعلى الأول هي صفة من صفات الله تعالى غير مخلوقة، وعلى الثاني هي الجنة - كما سيأتي - وهي مخلوقة.

وجاء لفظ الرحمة اسماً من أسماء الله الحسنی في اسمين هما «الرحمن» و «الرحيم»، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: 60]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 20]، وورد وصفاً لنبیه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43].

فاسم الرحمن متضمن صفة الرحمة⁽¹⁾.

ومن أمثلة وروده فعلاً قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: 16]، وقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء: 8]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118].

(1) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، (ص: 12)، دار

الهجرة - الثقبه، ط: الثانية، 1422هـ - 2001م.

الفرع الثاني: أسماء الله تعالى وصفاته المتعلقة بالرحمة

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽¹⁾.

وإن الله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وسمَّى نفسه بما يدل على هذه الصفة، ومن الآيات الدالة على صفة الرحمة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾ [الأنعام: 147]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: 133]، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ومن دعاء موسى ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151]، ومن دعاء يعقوب ﷺ قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64]، ومن دعاء يوسف ﷺ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ بَغْفُرُ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]، ومن دعاء أيوب ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

فمن أسماء الله تعالى وصفاته الدالة على معاني الرحمة «الرحمن» و«الرحيم»، وهذان الاسمان وردا في القرآن الكريم مقترنين ومفترقين، وذلك في آيات عديدة؛

فما جاء باقتران الاسمين البسملَةُ وهي قول (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، واختلف العلماء في كونها آية مستقلة أو آية من بداية كل سورة، ووردا كذلك في أعظم سورة وهي آية كاملة في فاتحة الكتاب في قوله تعالى: ﴿الْأَرْحَمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 3]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، وقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ

(1) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، (2585)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، (6986).

سَلِّمْنَ وَلَهُ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿النمل: 30﴾، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: 2].

ومما جاء فيه الاسمان منفردين ما جاء في سورة كاملة سُمِّيَتْ باسم الباري جل وعلا وهي سورة «الرحمن»؛ فافتتحت بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝۱ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1-2].

كما جاء اسم الرحيم مفترقا عن اسم الرحمن مقترنا غالبا باسم يتضمن معنى الرحمة كالغفور والرؤوف والتواب؛ كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ عِبَادُكَ إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: 49]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 20]، وقوله: ﴿وَأَنفَعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12].

فالرحمن على وزن فعلان، يتضمن صفة الرحمة، فهو مشتق منها، وهو ذو الرحمة الواسعة العامة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

والرحيم على وزن فاعيل، يتضمن صفة الرحمة، وهو مشتق منها، والرحيم ذو الرحمة الخاصة، كما قال جل شأنه: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43].

فالرحمن يتضمن صفة الرحمة العامة، والرحيم يتضمن صفة الرحمة الخاصة.

يقول الشيخ عبد المحسن العباد: «أسماءُ الله كُلُّهَا مُشْتَقَّةٌ، تدلُّ على معان هي صفات، فالعزیزُ يدلُّ على العزَّة، والحكيم يدلُّ على الحكمة، والكریم يدلُّ على الكرم، والعظیم يدلُّ على العظمة، واللطيف يدلُّ على اللطف، والرحمن والرحيم يدلان على الرحمة، وهكذا، وليس في أسماء الله اسم جامد، وما ذكره بعض أهل العلم من أن من أسماء الله «الدَّهْر» فغير صحيح؛ فإنَّ الحديث القدسي: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسْبُ الدَّهْرَ،

وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ⁽¹⁾» لا يدلُّ على أنَّ من أساء الله الدهر؛ لأنَّ الدهرَ هو الزمان، والله تعالى هو الذي يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَمَنْ سَبَّ الْمُقَلَّبَ - بفتح اللَّام وتشديدها - وهو الدهر، رجعتْ مسبِّته إلى المُقَلَّبِ - بكسر اللَّام وتشديدها - وهو الله، وقد بيَّن الله ذلك بقوله: «بيدي الأمر، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وأما الصفات فليس كلُّ صفة يُشتقُّ منها اسم؛ فإنَّ من صفات الله الذاتية الوجه واليد والقَدَم، ولا يُؤخذ منها أسماء، ومن صفاته الفعلية الاستهزاء والكيد والمكر، ولا يُشتقُّ منها أسماء، فلا يُسمَّى بالماكر والمستهزئ والكائد⁽²⁾.

وقال ابن تيمية: «وكذلك لفظ الرحمة يُرادُّ بها صفةُ الله التي يدلُّ عليها اسمه الرحمن الرحيم، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7]، ويُرادُّ بها ما يرحم به عباده من المخلوقات، كقول النبي ﷺ: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة⁽³⁾»، وقوله عن الله تعالى: «يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي ويقول للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

(1) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم (الجاثية)، (4549)، ومسلم، كتاب اللفظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، (6000)، واللفظ للبخاري.

(2) قطف الجنى الداني شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حمَّاد العبَّاد البدر، (ص: 72-73)، منار السبيل، الجزائر، ط: الأولى، 1423 هـ-2002 م.

(3) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب الرجاء مع الخوف، (6104).

(4) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ق، (4569)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (7351).

(5) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (7/ 261-262)، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط: 1411 هـ.

فالله تعالى أمرنا بالتراحم فيما بيننا؛ حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۖ﴾ (١٧) ﴿أُولَٰئِكَ أَحَبُّ الْمَيِّمَةِ﴾ [البعد: 17-18].

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «والتواصي بالرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضاً كناية عن اتصافهم بالرحمة؛ لأن من يوصي بالرحمة هو الذي عَرَفَ قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يُوصي بها»⁽¹⁾.

ولقد نهانا الله ﷻ وحذرنا من القنوط من رحمته، فقال ﷻ: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

فالقنوط اليأس من الرحمة⁽²⁾.

وقال الله ﷻ: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56]، أي: لا أحد يقنط من رحمة ربه إلا الضاللون عن الحق؛ لأن المؤمنين -وخاصة الأنبياء- يعلمون من قدرة الله ﷻ وفضله وإحسانه ما لا يعلمه غيرهم، ويعلمون من قرب رحمته وفرجه ما لا يعلمه غيرهم. وهذا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء يقول: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) مهما كانت الحال من الشدة ومن الضيق ومن الحرج؛ فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، لأن الله قادرٌ على كل شيء، لا يعجزه شيء، وهو أرحم الراحمين⁽³⁾.

(1) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (30/361)، الدار التونسية للنشر، تونس-1984م.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: 591).

(3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، (2/72)، مؤسسة الرسالة ناشرون.

الفرع الثالث: معاني الرحمة في القرآن الكريم

ورد لفظ الرحمة في القرآن دالا على عدة معان؛ نذكر منها ما يأتي:

- 1- الإسلام والقرآن والنبوة: ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 105]، أي: اختصكم -أيها المؤمنون- من الفضل بما لا يُجَد ولا يُوصَف، بما شرف به نبيكم محمداً ﷺ على سائر الأنبياء وهداكم به لأحمد الشرائع، ورحمته في هذا الموضع، الإسلام والقرآن، مع النبوة⁽¹⁾.
- 2- الجنة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 107]، رحمة الله هنا: يعني جنته ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها، جعلنا الله تعالى من أهلها، آمين⁽²⁾.
- 3- المطر: ومنه قوله تعالى: ﴿بَشْرًا بَيِّنَ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28]، فذكر بعضاً من رحمته العامة الذي هو من أتم النعم وأجلها وأحسنها أثراً، وهو المطر.⁽³⁾

-
- (1) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، (6/ 517)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (2/ 60)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1420 هـ - 1999 م.
 - (2) تفسير الطبري، (7/ 96)، تفسير ابن كثير (2/ 92)، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، (1/ 356)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، 1424 هـ / 2003 م.
 - (3) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (2/ 106)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، تفسير ابن كثير (3/ 430)، تفسير التحرير والتنوير، (8/ 178)، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، (2/ 184).

4- القرآن: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرْحَمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58]، أي بلغهم يا رسولنا أمراً إياهم بأن يفرحوا بالإسلام وشرائعه والقرآن وعلومه التي رَحِمكم بها، فأنزلها إليكم، فعَلَمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبَصَّركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن.⁽¹⁾

5- الإيمان: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَلْنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: 28]؛ الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوة.⁽²⁾

6- العصمة: ومنه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53]، إلا من عصمه الله تعالى، أو إلا نفساً رَحِمها الله بالعصمة كنفس يوسف⁽³⁾، ونحوه قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43].

7- الرزق: ومنه قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا تُمَسَّكُمُ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: 100]، فبين تعالى في هذه الآية أن بني آدم لو كانوا يملكون خزائن رحمته - أي خزائن الأرزاق والنعيم - لَبَخِلُوا بالرزق على غيرهم، ولَأَمْسَكُوا عن الإعطاء خوفاً من الإنفاق لشدة بخلهم، فلم تنفقوها خوفاً من نفادها إذ هذا طبعكم، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ﴾ [الكهف: 10]، أي: أَعْطَانَا مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا.⁽⁴⁾

(1) تفسير الطبري، (105/15)، الكشف، (336/2)، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، (483/2).

(2) تفسير الطبري، (299/15).

(3) الكشف، (453/2)، تفسير ابن كثير، (394/4).

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، (744/3)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1400 هـ-1980 م، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، (ص: 654)،

8- المنة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الفصل: 46]، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه⁽¹⁾.

9- النصر: ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: 17]، أي خيراً ونصراً وعافية⁽²⁾.

10- الصحة والعافية والغنى والنعمة: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَقْرَبُكُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكِتُ رَحْمَتِي﴾ [الزمر: 38]⁽³⁾.

11- النبوة: ومنه قوله تعالى: ﴿أَهْمُرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32]، ومعناه أيقسمون نبوته وكرامته فيجعلونها لمن يشاؤون، إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: 28]؛ نبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله⁽⁴⁾.

=تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، 1995م، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (3/ 229).

(1) الكشف، (2/ 646)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، (5/ 193)، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي (تفسير القرطبي)، (14/ 151)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1423 هـ - 2003م.

(3) تفسير الطبري، (21/ 295)، تفسير الواحدي، (ص: 934)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (4/ 489).

(4) تفسير الواحدي، (ص: 973)، الكشف، (1/ 201)، تفسير ابن كثير، (4/ 317)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (4/ 636).

12- المودة: ومنه قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً يَبْنِيهِمْ﴾ [الفتح: 29]، والمعنى أنهم يُظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرفقة، فهم متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد، وذلك من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في نفوسهم⁽¹⁾.

13- اللين والشفقة: ومنه قوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: 27]؛ أي ليناً وشفقة، والرفقة أشد الرحمة.⁽²⁾

14- إجابة الدعاء: ومنه ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 02]، أي هذا القول الذي أنزلت عليك ذكر رحمة الله سبحانه عبده بإجابة دعائه لما دعاه⁽³⁾.

المطلب الثاني: الرحمة في السنة النبوية

السنة النبوية هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير؛ وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولا يختلف المسلمون في حجية السنة الثابتة عن الرسول ﷺ لأنها وحي من الله تعالى، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4].

فالسنة الشريفة متضمنة لمعاني الكتاب العزيز، وليس فيها -في حقيقة الأمر- والواقع - ما يناقضه أو يعارضه؛ لأنها من مشكاة واحدة، فجاءت السنة شارحةً لمبهمه مبينةً لمجمله مقيدةً لمطلقه مُحَصِّصةً لعمومه؛ وهكذا...

الفرع الأول: ذكر الرحمة في السنة النبوية

لقد استفاضت السنة النبوية بنصوصها الداعية إلى الرَّحْمَةِ الحائِثَةِ عليها، المرغبة فيها إمَّا نصًّا أو مفهوماً، بل إن بعثة النبي ﷺ نفسها رحمةٌ للخلق أجمعين؛ حيث يقول

(1) تفسير الواحدي، (ص: 1014)، تفسير أبي السعود، (8/ 144)، تفسير التحرير والتنوير، (26/ 204)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (5/ 117).

(2) تفسير الطبري، (23/ 202)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (5/ 278).

(3) تفسير الواحدي، (ص: 675)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (3/ 293).

الله تعالى واصفا له بالرحمة العامة لسائر الخلق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

ومما جاء في السنة في بيان سعة رحمة الله تعالى قول النبي ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»⁽¹⁾.

بل إن الله تعالى جعل من رحمته التراحم بين البهائم والدواب، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ فِي مِئَةِ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ)⁽²⁾.

ولقد دأب علماء الحديث والأسانيد عند التحديث أن يبدأوا بأول حديث وهو حديث الرحمة؛ وهذا ما يُعرف بالحديث المسلسل بالأولية؛ فيكون أول حديث يأخذه الطالب، وفي هذا إشارة وبيان لرحمة الله تعالى ولتراحم العباد فيما بينهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»⁽³⁾.

ومن رحمة الله الواسعة رحمته بعباده يوم القيامة؛ فعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً قال: «فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا هُمًا،

(1) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)، (3022)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (7145)، واللفظ لمسلم.

(2) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مئة جزء، (5654)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (7148)، واللفظ للبخاري.

(3) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، (4943)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، (1924)، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (925).

فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْجَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأُخْيَضُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْحَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا⁽¹⁾».

الفرع الثاني: أسماء وصفات النبي ﷺ المتعلقة بالرحمة

كانت بعثة النبي ﷺ رحمةً للبشرية كلها، وكانت المجتمعات مهياً لاستقبال رسالة جديدة أساسها الأخلاق الكريمة والرحمة بهذا العالم الذي أرهقت ظلمات الجاهليّات كاهله؛ فُبِعِثَ النبي ﷺ برسالة العدل ركيزتها، والرحمة والأمانة واحترام بشرية الإنسان دعائمها، وشهد له أعداؤه بدمائة الخلق وبالعظمة الإنسانية، وشهد له ربه عز وجل أولاً بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن:4].

ولذلك لما سُئِلَتْ عائشة ؓ عن خلق رسول ﷺ قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ؛ أَمَّا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»⁽²⁾.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «فدل مجموع الآية وحديث عائشة على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أنه يكون على خلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق»⁽³⁾.

(1) - رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (472).

(2) رواه أحمد في مسنده، حديث السيدة عائشة ؓ، (24601)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (3/ 536).

ولقد وصف الله تعالى نبيه بخلق الرحمة في غير ما موضع من القرآن الكريم؛ حيث يقول الله عز وجل: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

ولقد سمى النبي ﷺ نفسه بما يوافق الرحمة؛ وجاء في السنة ما يبين ذلك، منها قول النبي ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَأَنَا الْمُقْفَى وَأَنَا الْحَاشِرُ وَنَبِيُّ الْمَلَأِ حِمٍ»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقْفَى، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَرْحَمَةِ»⁽²⁾.

الفرع الثالث: نماذج من رحمة النبي ﷺ

كان النبي الرحيم ﷺ الرسول الكريم والإمام القدوة والزوج الصالح والأب الحنون والصاحب الوفي والقائد الشجاع؛ وتعدّد مواقفه ووظائفه ﷺ تعددت رحمته، ومن بين النماذج العملية للنبي ﷺ ما يلي:

1- رحمته بالناس جميعا في الدنيا: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»⁽³⁾، ومن مظاهر رحمة النبي ﷺ بالناس في الدنيا حلمه ورحمته بأعدائه، فعن جابر بن عبد الله قال: «قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصْفَةَ بَنَخْلٍ فَرَأَوْا مِنْ الْمُسْلِمِينَ غَرَّةً فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ

(1) رواه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (368).

(2) انظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، أفراد مسلم، (487).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب في حب النبي ﷺ، فصل في أسائه ﷺ، (1404)، وهو في

السلسلة الصحيحة برقم: (490).

فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ اللَّهُ ﷻ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ كُنْ كَخَيْرِ أَخِيذٍ قَالَ أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ...»⁽¹⁾.

2- رحمته بالناس جميعا في الآخرة: ومن رحمة النبي ﷺ بالناس جميعا في الآخرة موقفه في أرض المحشر، حيث يلجأ الناس إلى أولي العزم لسؤال الله تعجيل القضاء والحساب، فيقول كل نبي «نفسى نفسى»، ويرشدهم عيسى ﷺ إلى النبي ﷺ؛ ففي الصحيحين؛ قال النبي ﷺ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ اشْفَعْ تُشْفَعْ»⁽²⁾، فينتفع الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم بشفاعته العظمى، وهي أعظم مظاهره رحمته.

3- رحمته بأمته في الدنيا: ومن رحمة النبي ﷺ بأمته في الدنيا ما ثبت في قصة الإسراء والمعراج، فعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمَرَ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى ﷺ مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ، قَالَ قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَى ﷺ فَرَاغِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ فَرَاغِعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ رَاغِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ فَرَاغِعْتُ رَبِّي

(1) رواه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، (14929)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(2) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، (3162)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (501)، واللفظ لمسلم.

فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبِّكَ، فَقُلْتُ قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي⁽¹⁾.

4- رحمته بأمته في الآخرة: جعل الله تعالى خلق الرحمة بالأمّة ثابتاً في قلب النبي ﷺ إلى يوم القيامة؛ كيف لا ورحمته قد بلغت الكفار في الدنيا والآخرة، وتظهر هذه الرحمة الخاصة في شفاعاته ﷺ؛ «فَأُوتِيَ فَأَقُولُ أَنَا هَذَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدٍ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ رَبِّ أُمِّتِي أُمِّتِي، فَيَقَالَ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بَرَةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ أُمِّتِي أُمِّتِي، فَيَقَالَ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمِّتِي أُمِّتِي، فَيَقَالَ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»⁽²⁾.

5- رحمته بالنساء: كان النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق، فكان رحيماً بنسائه وبناته وبنساء أصحابه ونساء أمته، فعن أنسٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى عَلَى أَزْوَاجِهِ، وَسَوَاقٍ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشُهُ، فَقَالَ: «وَيْحَاكَ يَا أَنْجَشُهُ؛ رُوَيْدَكَ سَوْفَاكَ بِالْقَوَارِيرِ»، قَالَ أَبُو

(1) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، (342)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، (433)، واللفظ لمسلم.

(2) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (7072)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (500)، واللفظ لمسلم.

قَلَابَةً: تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعَبْتُمُوهَا عَلَيْهِ، يَعْنِي قَوْلَهُ: سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ⁽¹⁾.

ومن رحمة النبي ﷺ بنساء أمته وصيته بهنَّ وهو يغادر هذه الدنيا؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُعْرِغُرُ بِنَفْسِهِ: الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»⁽²⁾.

6- رحمته بالأولاد والصبيان: ولقد كان النبي ﷺ يقبل أولاده ويداعب الأطفال ويمازحهم، ويدعو غير ابنه «يا بُنَيَّ» ملاطفة لهم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا بُنَيَّ»⁽³⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقْبَلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»⁽⁴⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا أَتَقْبَلُونَ صِبْيَانَكُمْ، فَقَالُوا نَعَمْ، فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نَقْبَلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ»⁽⁵⁾.

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، (5797)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن، (6180).

(2) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، (1625)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (868).

(3) رواه مسلم، كتاب الأدب، باب جواز قوله لغير ابنه يا بُنَيَّ واستجابته للملاطفة، (5748).

(4) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (5651)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (6170)، واللفظ لمسلم.

(5) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (6169).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ كَانَ فَطِيمًا - قَالَ فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَاهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّعِيرُ»، قَالَ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ»⁽¹⁾.

7- دعوته ورحمته بالمخالفين: جعل الله تعالى الرفق واللين من شروط الدعوة إليه؛ حيث يقول ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِيَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وقد أرسل الله تعالى نبيّه موسى وهارون عليهما السلام إلى أطغى أهل الأرض أمرا لهما بقوله: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿١٤﴾﴾ [طه: 43-44]، وكان النبي ﷺ داعية رحيمًا؛ فتح الله به قلوبا غلغا وعيونا عميا وأذانا صمًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ الطُّفِيلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ هَلَكْتَ دَوْسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَانْتِ بِهِمْ»⁽²⁾.

وعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ، فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي، فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، (5778)، ومسلم، كتاب الآداب،

باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته

واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، (5747)، واللفظ لمسلم.

(2) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، (2779)،

ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم

ودوس وطئ، (6611).

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؛ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا⁽¹⁾.

المبحث الثاني

استعمالات الرحمة في الفقه الإسلامي

إن السعادة الحقيقية في الإسلام، ولا سعادة للبشرية كلها إلا في الإسلام وبالإسلام، وعلينا أن نعيش للإسلام وبالإسلام؛ الإسلام الذي حقق السعادة للعالم يوم أن حقق المسلمون الإسلام على أرض الواقع وجعلوه منهج حياة، يوم طبق المسلمون الإسلام في عباداتهم وحياتهم الدينية، وتعاملوا به في معاملاتهم وشؤونهم الدنيوية.

المطلب الأول: الرحمة في باب العبادات

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وتوحيده، وكلّفهم بأداء العبادات والطاعات وباجتناب المعاصي على وجه لا مشقة فيه ولا حرج، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَلَا الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، فدين الله قائم على الرحمة والتيسير.

(1) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (3059)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (4754)، واللفظ لمسلم.

قال ابن تيمية: «وأما إذا كانت فائدة العمل منفعة لا تُقاوم مشقته فهذا فساد، والله لا يحب الفساد»⁽¹⁾.

يقول ابن القيم: «فإن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كُلُّها، ورحمةٌ كُلُّها، ومصالِحُ كُلِّها، وحكمةٌ كُلِّها»⁽²⁾.

وقال كذلك: «فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها»⁽³⁾.

وسنبيّن رحمة الله الشاملة لباب العبادات بالتمثيل لأهم العبادات؛ ومنها:

1 - الطهارة: جعل الله تعالى الطهارة شرطا لصحة الصلاة، غير أن هذا الشرط قد

يسقط تخفيفا على المسلم ورفعاً للحرَج عنه، قال تعالى في آية الطهارة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

(1) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (283 / 25)، تحقيق: أنور الباز-عامر

الجزار، دار الوفاء، ط: الثالثة، 1426 هـ - 2005 م.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم)، (4 / 337)، اعتنى به:

مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423 هـ.

(3) المرجع نفسه.

قال ابن كثير: «فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر، بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم...» وقوله: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ يُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرافة والرحمة والتسهيل والسماحة⁽¹⁾.

2- الصلاة: الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد توحيده ﷻ، وهي من أعظم شعائر الإسلام وعلامته، فهي المحققة لمعنى إسلام الوجه لله؛ فقد أمر الله تعالى بإقامتها، ورتب على إقامتها الأجر العظيم، وعلى تركها والتهاون فيها العذاب الأليم، وجعل فيها رحمة، وجعلها سببا لرحمته.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]، فبين الله أن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر والمقيمين للصلاة والمؤتين للزكاة والمطيعين لله ولرسوله هم أهل الرحمة.

ويقول النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»⁽²⁾.

قال الشوكاني: «قوله: (من ربه) أي من رحمة ربه وفضله، (وهو ساجد)؛ الواو للحال، أي: أقرب حالاته من الرحمة حال كونه ساجدا»⁽³⁾.

وجعل الله فعل هذه العبادة مخففا حسب التيسير، قال النبي ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»⁽⁴⁾.

(1) تفسير ابن كثير، (3/ 60).

(2) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (1111).

(3) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، (3/ 567)، تحقيق: طارق بن

عوض الله، دار ابن القيم، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.

(4) رواه البخاري، أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، (1066).

الزكاة: الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده.

فبالزكاة يرحم الغني الفقير، ويتراحم الناس فيما بينهم فيرحمهم ربهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56]، فالله تعالى جعل الزكاة من أسباب رحمته.

ومن رحمة الله تعالى بالمزكي أن جعل مقدار الزكاة قليلا وجعل بلوغ النصاب قدرا كبيرا، ومن رحمته أن جعل للزكاة أنواعا من الأموال؛ فلا تجب في مالٍ معيّن ولا في كل مال، ومن رحمته كذلك أن ما يُخرج يكون من متوسط المال لا من أكرمه وأجوده.

كما رتب الله تعالى على منعها منع خيره ورحمته، يقول النبي ﷺ: «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»⁽¹⁾.

4- الصيام: الصيام هو الركن الرابع من أركان الإسلام، فرضه الله تعالى على المؤمنين لتحقيق التقوى، وجعل صيام رمضان واجبا على القادر المقيم، واختار لهم رمضان شهر التوبة والرحمة والعق من النار.

ويُنمّي الصوم في الإنسان عاطفة الرحمة والأخوة والشعورَ برابطة التضامن والتعاون التي تربط المسلمين فيما بينهم، فيدفعه إحساسه بالجوع والحاجة إلى صلة الآخرين وإعانتهم.

ومن رحمة الله تعالى بالصائمين تخفيفه على بعض الناس الصيام تيسيرا ورحمة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

(1) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، (4019)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم: (106).

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَنْبَاءٍ أُخَرُ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: 183 - 185].

فالصيام يكون أياماً معدودات من رمضان، لم يفرضه الله تعالى الدهر كله تخفيفاً ورحمةً، ومع هذه الرحمة في الصيام فقد شرع الله ﷻ للمريض الذي يضره الصوم وللمسافر الذي يشق عليه أن يفطرا ويقضيا أياماً بقدر الأيام التي أفطرا فيها، وهذا كذلك من التيسير على العباد والرحمة بهم؛ لأنه شهر تنزل الرحمة الإلهية، وأنه تعالى لا يريد بعباده إلا اليسر والسهولة والرحمة، بل رخص للحامل والمرضع الإفطار رحمة بهما وبالجنين أو الرضيع.

يقول النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فَتُحْتِ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِّسَتِ الشَّيَاطِينُ»⁽¹⁾.

5- الحج: هو الركن الخامس من أركان الإسلام؛ أوجبه الله على المستطيع إليه رحمة منه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97].

ومما يؤكد رحمة الله تعالى في إيجاب الحج حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا مَنَعْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»⁽²⁾.

(1) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، (2548).

(2) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، (3321).

فالحج فرصة عظيمة، يجود الله سبحانه وتعالى فيها على عباده المؤمنين بالمغفرة والرحمة والرضوان والعتق من النار، ويتعاون الناس فيما بينهم ويتراحمون، ويتبادلون المنافع الدينية والدنيوية وهذا كله من رحمة الله تعالى.

وتعظم رحمة الله على الحجاج في يوم عرفة؛ فروى الإمام مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله ﷺ قال: «مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعُظَامِ...»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الرحمة في باب المعاملات

رحمة الله تعالى بعباده كما شملت باب العبادات فقد شملت باب المعاملات، ويمكن التمثيل لذلك بما يلي:

1- الزواج: جعل الله تعالى الزواج سنة شرعية وكونية، فالزواج رباط مقدس وميثاق غليظ، تساق إليه الفطر القويمة وتدعو إليه الشرائع الحكيمة، وما زالت نفوس البشر تنساق فيه مع الفطرة وتجب به داعي الحكمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، فبالزواج تحصل الرحمة والمودة والسكن، وبه يُلْمُ الشتات ويجتمع القلب وتُبْتَغى الذرية ففضائل الزواج متعددة وبركاته متنوعة.

قال ابن القيم: «وَقَصَرَ عِدَدَ الْمُنْكَوحَاتِ عَلَى أَرْبَعٍ، وَأَبَاحَ مَلِكُ الْيَمِينِ بَغِيرَ حَصَرٍ، فَهَذَا مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ وَكَمَالِ شَرِيعَتِهِ وَمُوَافَقَتِهَا لِلْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ؛ فَإِنَّ النِّكَاحَ يَرَادُ لَوْطٍ وَقَضَاءِ الْوَطَرِ، ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ سُلْطَانُ هَذِهِ الشَّهْوَةِ فَلَا تَنْدَفِعُ حَاجَتُهُ بِوَاحِدَةٍ فَأُطْلِقَ لَهُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً، وَكَانَ هَذَا الْعِدَدُ مُوَافِقًا لِعِدَدِ طِبَاعِهِ

(1) رواه مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج، (1597).

وأركانها، ... وأباح للمرأة أن تحد على غير زوجها ثلاثاً، فرحم الضرّة بأن جعل غاية انقطاع زوجها عنها ثلاثاً ثم يعود، فهذا محض الرحمة والحكمة والمصلحة⁽¹⁾».

2- الميراث: الإرث هو حق قابل للتجزؤ يثبت لمستحق بعد موت من كان له؛ لقراءة بينهما ونحوها⁽²⁾.

وقد تكفل الله تعالى بقسمته؛ فكانت قسمة الميراث في الإسلام أعدل قسمة، فالخاقدون على الإسلام يزعمون أن الإسلام ظلم المرأة بتفضيل الرجل عليها في الميراث، فتثار هذه القضايا للنيل من التشريع الإسلامي، بدعوى أنه ظلم المرأة، ولم ينصفها، وفضل الرجل، عليها، وهي دعوى مغرضة وحجة واهية؛ لأن الإسلام أنصف المرأة ورفع من شأنها، فقد عانت قبل الإسلام لا تنال شيئاً من الإرث بل تورث كما يورث المتاع.

قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: 11]، فقد تضمنت وصية الله تعالى من الرحمة والعدل والحكمة؛ فإنه جعل للبنات حظاً في أموال آبائهن رحمة منه لضعفهن وترغيباً في نكاحهن، لأن المرأة تنكح لما لها وجمالها ولدينها، فعليك بذات الدين، قال ﷺ: «اتقوا الله في الضعيفين يعني المرأة واليتيم⁽³⁾»، فكان من رأفته بهن أن قسم لهن مع الذكور، وكان من عدله أن جعل للذكر مثل حظ الأنثيين لما يلزم الذكور من الإنفاق والصدّق إذا بلغوا النكاح، ولما أوجب عليهم من الجهاد للأعداء والذب عن النساء، وجعل حظهم مثني حظ الإناث كما جعل حظ الرجل مثل حظي الأنثى في الشهادات والديات لأنهن ناقصات عقل ودين للحيض

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (3/323/324).

(2) موسوعة الفقهية الكويتية، (3/17)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار الصفوة - مصر، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.

(3) حديث حسن؛ انظر صحيح الجامع برقم: (2447) بلفظ «إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُم حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ».

المانع لمن في بعض الأوقات من الصيام والصلوات، فجمع بين العدل والرحمة ونبه على العلم والحكمة⁽¹⁾.

قال الشيخ ابن عاشور: «فتوزيع المال بعد وفاة صاحبه ببيان فرائض الإرث على وجه لا يقبل الزيادة والنقصان، وقد كان العرب يعطون أموالهم لمن يحبون من أجنبي أو قريب، وكان بعض الأمم يجعل الإرث للأكبر، وجعل توزيع هذه الفرائض على وجه الرحمة بالناس أصحاب الأموال، فلم تعط أموالهم إلا لأقرب الناس إليهم، وكان توزيعه بحسب القرب كما هو معروف في مسائل الحجب من الفرائض، وبحسب الأوجية إلى المال»⁽²⁾.

3- البيوع والتجارات: شرعت الشركات والبيوع رحمة بالخلق ورفعاً للخرج عنهم، وقد بين النبي ﷺ أن في التجارة بركة وأن السحاحة فيها يوجب رحمة الله تعالى، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)⁽³⁾.

قال ابن حجر: «وفيه الحُصُّ على السحاحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحاة والحُصُّ على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم»⁽⁴⁾.

(1) الفرائض وشرح آيات الوصية، (ص: 29-30)، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة، ط: الثانية، 1405 هـ.

(2) تفسير التحرير والتنوير، (3/ 46-47).

(3) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسحاحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، (1970).

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (4/ 307)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1379 هـ.

4- الجهاد والحرب: ومن رحمة رسول الله ﷺ ورحمة الإسلام معاملة غير المسلمين بالحسنى في أحلك المواضع، فقد لقي الرسول ﷺ هو وأتباعه من كفار مكة أشد ألوان العذاب، وعندما أنعم الله على المسلمين بفتح مكة، ووقع هؤلاء في أيدي الرسول ﷺ، ظنوا أنه سينتقم منهم، ويفتك بهم، لكنه عفا عنهم، بل كان النبي ﷺ أرحم بأعدائه من بعضهم ببعض، وأمر بإحسان القتل.

واتفق الفقهاء على أنه لا يجوز في الجهاد قتل النساء والصبيان والمجانين والخنثى المشكل، وكذلك لا يجوز قتل الشيوخ عند جمهور الفقهاء، لأنهم ليسوا من أهل القتال فلا يقتلون⁽¹⁾، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه العلة؛ فعن عبد الله بن عمر «أَنَّ امْرَأَةً وَجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ»⁽²⁾.

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَإِيَّتَهُنَّ

(1) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ابن رشد الحفيد)، (404/1)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة- مصر، ط: الرابعة، 1395هـ- 1975م، المحلى، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، (7/296)، دار الفكر، بيروت- لبنان، [د.ب.ط.]، الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي الشوكاني، (2/446)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1407هـ- 1987م.

(2) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، (2851)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، (4645).

مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ....»⁽¹⁾.

وعن رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: «انْظُرْ عَلَامَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ، فَجَاءَ فَقَالَ عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ، فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتَقَاتِلَ، قَالَ وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: قُلْ لِحَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا»⁽²⁾.

5- الرأفة بالحيوان: وسعت رحمة الله تعالى البشر كلهم؛ المؤمن والكافر، بل اتسعت لتصل إلى الحيوانات والبهائم، فالإسلام دين الرحمة ينهى عن الإفساد والعبث، ويأمر بأن يكون كل فعل عن قصد نافع ونية حسنة، لذلك أمر الله تعالى بذبح الحيوان مأكول اللحم لما في ذبحه من إراحته، ونهى عن قتل الحيوانات الأخرى عبثاً أو لعباً لما في ذلك من منافاة الرحمة والمقاصد الحسنة، ويدل على هذا جملة من الأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»⁽³⁾.

وعن جابر قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا»⁽⁴⁾ (5).

(1) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، (4619).

(2) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، (2671)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم: (701).

(3) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، (5167).

(4) الصبر: أي يجبس ويرمى حتى الموت.

(5) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، (5175).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ عَرَضًا»⁽¹⁾.

6- البكاء على الميت: اتفق الفقهاء أن البكاء على الميت على وجه الرحمة والرقّة ونحو ذلك جائز، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا؛ بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى عند موت ابن إحدى بناته؛ فقال: «هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ»⁽²⁾»⁽³⁾.

وثبت في السنة في حادثة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ أنه ﷺ قال: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»⁽⁴⁾.

7- القضاء والعدالة: الإسلام دين الأمن والأمان، دين العدل والرحمة، حقق الأمان لا للمسلمين الذين طبقوه فقط، بل كذلك لليهود والنصارى الذين عاشوا في كنفه.

ومن معالم ذلك عدل الخليفة الراشد الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه، فعن أنس أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! عائد بك من الظلم، قال: عدتَ مُعَاذًا، قال: سابقتُ ابنَ عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على

(1) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، (5171).

(2) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) إذا كان

النوح من سنته، (1224)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، (2174).

(3) مجموع الفتاوى، (10/47).

(4) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ (إنا بك لمحزونون)، (1241).

صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مُذْكُمْ تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أعلم ولم يأتني⁽¹⁾.

وهذا يهودي يقف أمام القاضي شريح إلى جوار أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؛ فيؤخذ الحق لليهودي، فعن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: «وجد علي بن أبي طالب درعا له عند يهودي التقتها فعرفها فقال: درعي سقطت عن جمل لي أورك، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فأثوا شريحا، فلما رأى عليا قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس علي فيه ثم قال علي: لو كان خصمي من المسلمين لساوئته في المجلس ولكني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لا تساوهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم ولا تشيعوا جنائزهم، وألجئهم إلى أضيق الطرق، فإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم، ثم قال شريح: ما تطلب يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت عن جمل لي أورك فالتقتها هذا اليهودي، فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي، فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبرا مولاه والحسن بن علي فشهدا أنها لدرع، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها، فقال علي: ثكلتك أمك أما سمعت عمر يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، قال: اللهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيدي شباب أهل الجنة، ثم قال لليهودي: خذ الدرع، فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى على علي ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك

(1) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، كتاب الفضائل، باب فضائل الصحابة - فضائل الفاروق (عليه السلام)، عدله (عليه السلام)، (36010)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م.

سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فوهبها له علي وأجازه بسبع مائة، ولم يزل معه حتى قتل يوم صفين⁽¹⁾.

المطلب الثالث: ما لا تناسبه الرحمة

مما يعيبه أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين - زورا وبهتانا - أن الإسلام دين فيه قساوة وشدة، وأن أهله أهل عنف وقسوة، ودعواهم في ذلك أن في دينهم إقامة الحدود كالقتل والقصاص والقطع وغير ذلك، لكن العاقل اللبيب يدرك أن القوة والشدة محمودة في مواضعها؛ فغسل الأعضاء واللباس مثلا يحتاج إلى ذلك وعصر ونوع شدة، وهذا لا يعيبه أحد، وسأذكر بعض المسائل التي لا تتناسب معها الرحمة، ومنها:

1 - إقامة الحدود: فإن إقامة الحدود من شرع الله تعالى، وهو فرع عن القضاء، فلا يجوز العبث أو الاستهانة بها، وقد أوجب النبي ﷺ إقامتها على من استحقها دون تمييز وحرم الشفاعة فيها، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يَكْلُمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»⁽²⁾.

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب الشهادات، فصل في أحكامها وأدائها، (17795).

(2) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)، (3288)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، (4505)، واللفظ لمسلم.

وبيّن الله تعالى وجوب إقامة الحد وعدم الرأفة فيه، حيث يقول ﷺ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 02].

والرأفة: رحمة خاصة تنشأ عند مشاهدة ضرر بالمرؤوف، وعلق بالرأفة قوله: (في دين الله) لإفادة أنها رأفة غير محمودة لأنها تعطل دين الله، أي أحكامه، وإنما شرع الله الحد استصلاًحاً فكانت الرأفة في إقامته فساداً، وفيه تعريض بأن الله الذي شرع الحد هو أرفأ بعباده من بعضهم ببعض⁽¹⁾.

وعند ابن كثير؛ قال عامر الشعبي: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قال: رحمة في شدة الضرب⁽²⁾.

وقال أبو السعود: (وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ) رقة ورحمة في دين الله في طاعته وإقامة حده فتطلوه أو تسامحوه فيه⁽³⁾.

2- مباشرة الذبح وإكمال البسملة: شرع الله الذبح رحمة بالحيوان، غير أن هذا الذبح لا بد فيه من حد الشفرة أو السكين وعدم الشفقة فيه؛ لأن في الشفقة عند مباشرة الذبح تعذيباً للحيوان، ولذلك قال النبي ﷺ: «وَلْيُحَدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرْحَ ذَبِيحَتَهُ»⁽⁴⁾.

(1) تفسير التحرير والتنوير، (18 / 151).

(2) تفسير ابن كثير، (8 / 6).

(3) تفسير أبي السعود، (6 / 156).

(4) سبق تخريجه.

واختلف العلماء في حكم إكمال التسمية عند الذبح، بأن يقال: «الرحمن الرحيم»، فقليل: لا يستحب، لأن الذبح ليس بملائم للرحمة ولا يليق بالمقام؛ ولأن فيه تعذيباً، وذلك ينافي الرحمة، وقيل: يستحب وهو أكمل، لأن في الذبح رحمةً بالآكلين⁽¹⁾.

3- قضاء القاضي: القضاء هو سلطة الفصل بين المتخاصمين وحماية الحقوق العامة بالأحكام الشرعية، ويلزم القاضي المتخاصمين بما في الحكم، ويتوجب في القضاء القوة والحزم في إصدار الحكم وفي تنفيذه، ويتنافى القضاء مع الرحمة بالخصوم المعتدين والجناة، لأنه من باب حماية المقاصد الشرعية وتقديم المصالح العامة.

والمقصود من الرحمة المرعية في العقاب والتطبيق القضائي الرحمة العامة بالجماعة، فينظر إلى المصلحة العامة من ناحية المبدأ والحكم المطبق، بقطع النظر عن مصلحة كل شخص بعينه، أما التسامح الخاص والشفقة والرفق بألم بعينه، أو ما يسمى بالرفقة بالمتهم الذي ثبتت عليه الجريمة؛ فلا ينظر إليه، وتستبعد مراعاته ومحاولة إعفاء الجاني من العقوبة⁽²⁾.

(1) رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، محمد أمين ابن عابدين، (80/1)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، طبعة خاصة: 1423هـ- 2003م، مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالخطاب، (4/329)، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، طبعة خاصة: 1423هـ- 2003م، تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي، (1/229)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1417هـ- 1996م، شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)، منصور بن يونس البهوتي، (3/421)، عالم الكتب، بيروت- لبنان، سنة النشر: 1996م.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، (7/259)، دار الفكر، سورية- دمشق، ط: الرابعة، طبعة منقحة ومعدلة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن إقامة الحد من العبادات، كالجهاد في سبيل الله، فينبغي أن يعرف أن إقامة الحدود رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديداً في إقامة الحد، لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله، ويكون قصده رحمة الخلق بكف الناس عن المنكرات لا شفاءً لغيظه وإرادة العلو على الخلق، بمنزلة الوالد إذا أدب ولده، فإنه لو كف عن تأديب ولده - كما تشير به الأم رقة ورأفة - لفسد الولد، وإنما يؤدبه رحمة به وإصلاحاً لحاله، مع أنه يود ويؤثر ألا يحوجه إلى تأديب، وبمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الكرية، وبمنزلة قطع العضو المتآكل والحجم⁽¹⁾ ويقطع العروق بالفصاد⁽²⁾ ونحو ذلك، بل بمنزلة شرب الإنسان الدواء الكرية وما يدخله على نفسه من المشقة لينال به الراحة»⁽³⁾.

4- مباشرة القتال: ومن الأمور التي لا تتناسب مع الرحمة قتال الكفار المشركين، قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، وقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 123]؛ وهذه الغلظة تكون عند مباشرة القتال، أما قبله فتكون الدعوة والبلاغ، وأما بعده فيجوز المن أو الفدية أو الأسر أو القتل.

قال المفسرون: (غِلْظَةً) شجاعة، وقيل: عنفاً، وقيل: شدة، والغلظة ضد الرقة، وفائدتها أنها أقوى تأثيراً في الزجر والمنع عن القبيح، وهذا غير مطرد، بل يحتاج تارة

(1) الحجم: مص الدم.

(2) الفصاد: شق العروق.

(3) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن تيمية، (ص: 94)، تحقيق:

لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، ط: الأولى، 1403 هـ -

1983 م.

إلى الرِّفْقِ واللُّطْفِ وتارة إلى العنف، ولهذا قال: (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) تنبيهاً على أنه لا يجوز الاقتصار على الغلظة ألبتة فإنه يُنْفَرُ ويوجب تفرق القوم، فيدلُّ على تقليل الغلظة، كأنَّه قيل لا بد وأن يكونوا بحيث لو فَتَّشُوا عن أخلاقكم وطبائعكم لوجدوا فيكم غلظة، وهذا الكلام إنما يصحُّ في مَنْ أَكْثَرَ أحواله الرحمة والرافة؛ فلا يخلو عن نوع غلظة، وهذه الغلظة إنما تُعْتَبَرُ فيها يتعلَّق بالدَّعوة إلى الدِّين؛ إمَّا بإقامة الحُجَّة، وإمَّا بالقتال⁽¹⁾.

(1) الباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، (10/244)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط: الأولى، 1419هـ - 1998م.

الخاتمة

بعد عرض هذه المباحث؛ يتبين لنا أن رحمة الله وسعت كل شيء، فقد نالت البشر من آمن منهم ومن كفر، وطالت البهائم والحيوانات، بل شملت الحجر والمدر، والجماد والشجر.

فالرحمة صفة من صفات البارئ جل وعلا، جعل منها جزءاً يتراحم به خلقه فيما بينهم، وأسماء الله دالة على الرحمة إما لفظاً كالرحمن والرحيم وإما تضمناً كالرؤوف والغفور، كما أن معاني الرحمة تعددت في القرآن الكريم.

كما جعل الله لنبيه شيئاً منها؛ فهو نبي الرحمة، وموصوف بها، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فمظاهر رحمة النبي ﷺ لا ينكرها أحد، فقد أقر بها أعداؤه وهم معه، واعترف بها المستشرقون حديثاً، فجعلوا النبي ﷺ على رأس العظماء، لكن ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُومًا﴾ [النمل: 14].

فدين الله تعالى دين الرحمة؛ ظهرت آثارها عليه في تشريع العبادات بأنواعها، والمقاصد الشرعية مبناها عليها ومآلها إليها، وتجلت الرحمة كذلك في معاملات المسلمين، فالفقهاء أسهبوا في الكلام عليها، وربطوا كثيراً من المسائل الفقهية بها؛ بل إن الفقه الإسلامي بمباحثه ومسائله كله رحمة.

ويجدر بنا أن نبين بعض المسائل التي قد تتعارض في الظاهر مع الرحمة:

فالجihad شرع رحمة بالناس حتى يرجعوا إلى دينهم؛ ولم يكن النبي ﷺ يبدأ بالقتال، بل يبدأ بالدعوة والبيان وإبلاغ الحجة، ولا يلجأ للحرب إلا إذا بدأها أعداؤه أو كانوا معارضين وصادين طريق الدعوة، كما أن الله ﷻ جعل للجihad والحرب شروطاً وآداباً وجب على المسلمين التحلي بها، ثم نرى أعداء الإسلام اليوم يشنون حرباً

عشواء على الإسلام واتهامه بالدموية وحبّ القتل، والناظر في الساحة العالمية يرى عكس ذلك.

وإقامة الحدود فيها رحمة بالمجتمعات، فكان أهل الجاهلية عربا وعجما متناحرين متقاتلين، لا يسكن لهم روع ولا يهدأ لهم بال، شنّوا حروبا دامت عشرات السنين، فجاء الإسلام فألف بين قلوب الأعداء وأخى بينهم، وشرع الحدود لحياة الناس لا لقتلهم، يقول الله تعالى مُبَيِّنًا أهمية القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، وللأسف نَتَّهَمُ دائما بالرجعية والبعد عن التحضر، والصحيح أن الرجعية والتخلف يكون في البعد عن تعاليم ديننا الحنيف، والواقع يصدق ذلك أو يكذبه.

والزكاة والذبح الشرعي فيه رحمة بالحيوان، حيث أوصانا ربنا عز وجل بالرفق في الأمور كلها، وحثنا النبي ﷺ بالإحسان في كل شيء ولو مع الحيوان أو الكفار المقاتلين، فأين أنتم من هذا يا أعداء الإنسان الزاعمين الرأفة بالحيوان المدعين حماية حقوقه، فقد أثبت العلم الحديث أن أفضل وسيلة لراحة الحيوان هو الذبح الشرعي لا الخنق ولا الصعق ولا الطرق، بل هو وسيلة صحيحة لا عفن فيها ولا تغير للدم أو اللحم.

هذا وفي نهاية هذا البحث يستحسن أن نذكر بعض التوصيات؛

التوصيات: من أول وأولى ما نتواصى به أن نوصي أنفسنا وغيرنا بتقوى الله تعالى، فهي وصية الأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131]، فبتقوى الله تتألف القلوب ويتراحم الناس، ويصلح لهم دينهم ودنياهم.

- إظهار الوجه الحسن للإسلام وبيان رحمته وسماحته؛ وذلك بحسن التعامل فيما بيننا ومع غيرنا خاصة، وتبليغ وتعليم غير المسلمين الإسلام الحق الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، وكان عليه سلفنا الصالح.

- وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، لأنه سبيل الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.
- بيان وسطية الإسلام وأنه لا غلو فيه ولا إجحاف، لا إفراط ولا تفريط، فهو بعيد عن التكفير والتبديع والتضليل العام وتكفير المعين؛ أي التكفير بلا شروط ولا قيود، كما هو بعيد عن أفكار المذاهب المميعة كمذهب الحلولية ومذهب الدراويش.
- الإنكار والتحذير مما يقع في العالم من قتل وتدمير وتخريب ونسبة ذلك للإسلام زورا وبهتانا.
- التحذير من إصدار الأحكام الجزافية غير المبنية على الثبوت والبيان، لأن ذلك يوغر الصدور ويزرع الحقد والفرقة بين المسلمين، وينشر الطائفية ويشجع التعصب المقيت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: 31-32].
- وجوب تناصح المسلمين فيما بينهم، فذلك أدعى للتراحم والتواد والتعاطف، وقد حصر النبي ﷺ الدين كله في النصيحة بقوله عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة»⁽¹⁾.
- على المسلمين حكومات وجامعات وجمعيات إنشاء مراكز ومعاهد للتعريف بالإسلام ببيان رحمته وسماحته؛ على نحو مشروع السلام عليك أيها النبي.
- هذا البحث ما يزال فيه مجال وسعة للمزيد فيه وتنمية جميع أفكاره ومجالاته ومحاوره.

(1) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (205).

وفي الأخير أسأل الله تعالى للمسلمين جميعا التوفيق لكل خير، وأسأله أن أكون قد
وفقت لبيان - ولو بقدر يسير - جانب من جوانب رحمة الإسلام، ولعظمة هذا الدين
الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العلمين

الهوامش والمصادر والمراجع

- (1) القرآن الكريم
- (2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.
- (3) أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرمانى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة- مصر، ط: 1396هـ- 1976م.
- (4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1400هـ- 1980م.
- (5) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة ناشرون.
- (6) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم)، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423هـ.
- (7) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، 1424هـ/ 2003م.
- (8) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ابن رشد الحفيد)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة- مصر، ط: الرابعة، 1395هـ- 1975م.

- (9) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (10) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: الثانية، 1399هـ-1979م، بيروت- لبنان.
- (11) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1417هـ - 1996م.
- (12) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112، السنة 33 - 1421هـ.
- (13) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس - 1984م.
- (14) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1420هـ - 1999م.
- (15) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر - دار الفكر، بيروت، دمشق-سورية، ط1، 1410هـ.
- (16) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ - 2000م.

- (17) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي (تفسير القرطبي)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1423 هـ - 2003 م.
- (18) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط: الثانية، 1423 هـ - 2002 م.
- (19) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1411 هـ.
- (20) الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1407 هـ - 1987 م.
- (21) رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، محمد أمين ابن عابدين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، طبعة خاصة: 1423 هـ - 2003 م.
- (22) السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- (23) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- (24) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت.
- (25) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- (26) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، ط: الأولى، 1403 هـ- 1983 م.
- (27) شرح منتهى الإرادات (دقائق أولى النهى لشرح المنتهى)، منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، سنة النشر: 1996 م.
- (28) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1410 هـ.
- (29) الشئائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: 1412 م.
- (30) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، 1407-1987.
- (31) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، 1408-1988.
- (32) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الجيل-دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان.
- (33) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة-الثقة، ط: الثانية، 1422 هـ-2001 م.
- (34) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1416 هـ-1996 م.
- (35) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1379 هـ.

- (36) الفرائض وشرح آيات الوصية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة، ط: الثانية، 1405 هـ.
- (37) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى، 2000 م.
- (38) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، سورية-دمشق، ط: الرابعة، طبعة منقحة ومعدلة.
- (39) قطف الجنى الداني شرح مقدّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حمّد العبّاد البدر، منار السبيل، الجزائر، ط: الأولى، 1423 هـ-2002 م.
- (40) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف)، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- (41) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، 1401 هـ-1981 م.
- (42) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ-1998 م.
- (43) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، ط: الأولى، بيروت-لبنان.
- (44) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، ط: الثالثة، 1426 هـ-2005 م.
- (45) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 2000 م.

- (46) المحلى، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت - لبنان، [د.ب.ط].
- (47) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط: 1415 هـ - 1995 م.
- (48) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- (49) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: الثانية، 1420 هـ - 1999 م.
- (50) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- (51) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالخطاب، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، طبعة خاصة: 1423 هـ - 2003 م.
- (52) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، دار الصفوة - مصر، ط: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
- (53) موطأ الإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
- (54) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن القيم، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

(55) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، 1995 م.

(56) موقع: إسلام ويب/ مقالات، articles.islamweb.net، بتاريخ: 31 / 12 / 2009.